جائزة حمدان بن راشد آل مكتوم
للأداء التعليمي المتميز

عام زايد

خلاصات تعليمية

المشاركة السلوكية والمعرفية

تصميم بيئات التعلّم لتحفيز المهارات والقدرات

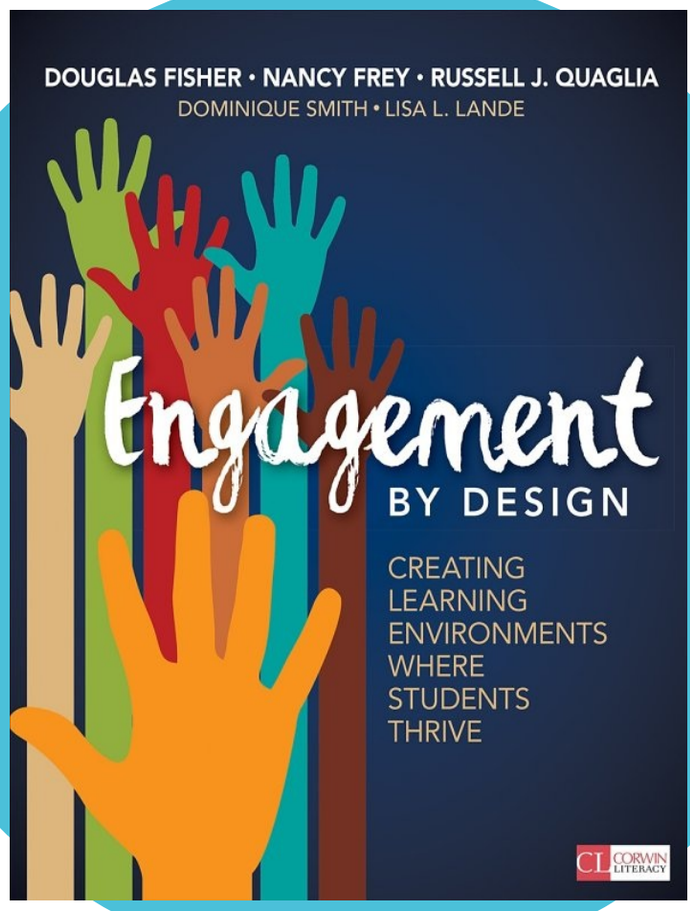

تأليف
دوجلاس فيشر
وآخرون

العدد
5
أبريل 2018

إن «كتاب المشاركة السلوكية والمعرفية» للكاتب دوجلاس فيشر وآخرون من الكتب القليلة التي اهتمت بالعملية التعليمية؛ بداية من العلاقة بين المعلم والطالب، مرورًا بعلاقة الطالب بالمحتوى وعلاقته بالصف، وغيرها. ويُعَدُّ الكتاب نموذجًا منهجيًّا لتحسين العملية التعليمية، ويسلط الضوء على جوانب الضعف؛ فيناقشها، ويعالجها بطريقة عملية، مستعرضًا حالات تمثل جوانب الضعف من مدارس وجامعات مختلفة، ومبيِّنًا كيفية علاجها.

هذا الكتاب يقدِّم حلولًا عملية لأغلب المشكلات التي تواجه المعلمين؛ بداية من مشكلات نقص الوسائل التعليمية، ووسائل الشرح التكنولوجية، وعدم توفير الإمكانات، ومشكلات المحتوى؛ التي منها: عدم الوضوح، وعدم الاكتمال، وعدم توصيل المعلومة المناسبة للطالب، وصعوبة وتعقيد المحتوى.

ويناقش الكتاب صعوبات التعلُّم بين الطلاب، وتفاوت القدرات الاستيعابية والفروق الفردية بينهم، وعدم اهتمام المعلمين بالطلاب ومشاركتهم أحزانهم وأفراحهم، وعدم الاهتمام بمعاناتهم الاجتماعية والمادية وغيرها.

ويعرض الكتاب نقطة بالغة الأهمية؛ هي الاستفادة من إخفاقات الطلاب وأخطائهم وتحويلها إلى وسيلة تعليمية تُعِين المعلمين على وضع منهج عملي لتجنُّب الإخفاق والخطأ من الطلاب، وتساعد الطلاب على أن يتفادوا الوقوع في تلك الأخطاء مرة أخرى.

ومما يتميز به هذا الكتاب عن غيره من المؤلفات في هذا المجال أنه يتناول العلاقة بين المعلم والطالب من جوانب عدة؛ إذ يسرد المؤلف في ثنايا الكتاب أهم ما يحتاج المعلم إلى التركيز عليه في علاقته بطلابه من أجل إثراء علاقته بهم؛ بما يجعلهم مقبلين على التعلُّم، توَّاقين إلى المعرفة، محققين النفع والخير لأنفسهم ومجتمعاتهم.

الدكتور جمال المهيري
الأمين العام

الصفوف الدراسية المشجعة

زوار الصفوف الدراسية

دعا مارك كاسترو بعض الزوار إلى زيارة الفصول الدراسية، وعند دخولهم وجدوا أن البيئة منظمة، وأن هنالك عددًا من المكاتب المختلفة بالإضافة إلى توافر كثير من الخيارات لجلوس الطلاب، كما أن الجدران غنية بالمعلومات. ولاحظ الزائرون أن الطلاب يجلسون في مجموعات وعادة ما يُشاركون في مهام مختلفة. وكان لدى بعض الطلاب أجهزة حواسيب محمولة والبعض الآخر يطبع النصوص. وكثيرًا ما سأل الزائرون السيد كاسترو عما إذا كان لديه أجهزة إلكترونية تكفي جميع الطلاب؛ فأجاب قائلًا: «نعم، لكن لا يستطيع الطلاب استخدام الأجهزة في نفس الوقت. وهذا يُشجع على مزيد من العمل الفردي والمستقل، وأُريد أن أتأكد من أن طلابي لديهم كثير من الفرص للتحدث مع نظرائهم؛ لأنهم يسعون للتعلم».

ملاحظات الزوار

ولاحظ الزوار أيضًا مدى التفاعلات التي يحصل عليها الطلاب داخل الفصول الدراسية. وتُشارك بعض المجموعات في مناقشات حركية، وبعضها الآخر يجلس كل منهم مستندًا بركبته إلى ركبة أحد زملائه، ويتحدث معه. وعلى إحدى الطاولات، يُناقش مجموعة من الطلاب الأسئلة التي يُريدون طرحها على مجموعة أخرى. فمثلًا يقول أندرو: «أعتقد أن علينا أولًا أن نسأل عن فكرة كبيرة، مثل لماذا كتب الكاتب هذا الكتاب؟» ثم يُضيف قائلًا: «أعتقد أننا يجب أن يكون لدينا أيضًا بعض الأسئلة التفصيلية؛ لأن هنالك بعض الأمور المهمة لنتذكرها، لكنها يمكن أن تأتي بعد الأفكار الكبيرة».

ويضيف بريانا فيقول: «تذكَّر أننا من المفترض أن نتأكد من أنهم يفهمون هذه [مشيرًا إلى ورقة بيده]. من يدري كيف سيُطلب منا أن نُظهر أننا نفهم؟ لذلك أعتقد أننا بحاجة إلى التأكد من تضمين التفاصيل». فيُجيبه أندرو: «نقطة جيدة! هل يُمكننا أن نكتب سؤالًا واحدًا ثم يسأل بعضنا بعضًا الأسئلة المطلوبة حتى نتمكن من اختبارها والتحدث عنها؟».

تفاعل كاسترو مع الطلاب

يتجول السيد كاسترو في الغرفة، ويتوقف للقاء مجموعات متنوعة من الطلاب أثناء استكمالهم المهام التعليمية. وبصفة دورية، كان السيد كاسترو يُوقف النشاط ويلفت انتباه الطلاب. يُواصل السيد كاسترو شرح إجابات الطلاب ويمنح المجموعة فرصة لمناقشة الإجابات ومواطن الخطأ في التفكير. وكثيرًا ما لاحظ الزائرون الملصق الذي يتضمن العبارة الآتية: «نحن نحتفي بالأخطاء؛ لأنها فرص للتعلم». ولم يندهش الزوار أبدًا من أن طلاب السيد كاسترو يؤدون أداءً جيدًا على نحوٍ استثنائي في الاختبارات العامة. ولكنهم فوجئوا بمعرفة أن جميع طلابه كانوا معرَّضين لخطر الفشل التعليمي بطريقة أو بأخرى، وأنهم جميعًا يعيشون في فقر، وقد التحق كثير منهم بمدارس متعددة. ويتعلم عدد كبير من الطلاب اللغة الإنجليزية بوصفها لغة إضافية. وعندما سُئل السيد كاسترو عن التحصيل الدراسي والأداء الأكاديمي لطلابه، أجاب قائلًا بتواضع: «طلابي يُريدون أن يتعلموا، وهم بحاجة فقط إلى أن يبصروا الطريق».

مقطع فيديو رقم 1

ما هو مفهوم الارتباط؟

لقراءة رمز الاستجابة السريعة، يجب أن يكون لديك هاتف ذكي أو حاسوب لوحي مزود بكاميرا. نُوصي بتنزيل تطبيق قارئ رمز الاستجابة السريعة المصمم خصوصًا للعلامة التجارية للهاتف أو الحاسوب اللوحي. فكِّر في اثنين من الطلاب في نفس الصف، حيث يجلس براندون بجوار النافذة ويبدو دائمًا أكثر اهتمامًا بالأحداث التي تحدث في الخارج. فإذا جئت إلى الفصل، قد تقول: إن براندون لم يُشارك في التعلم. ومع ذلك، إذا تحدثت مع براندون، يمكنه أن يسرد لك كل ما قيل، بالإضافة إلى كل الأحداث التي رآها بخصوص السناجب والناس في الخارج. بينما يُتابع هيبر المعلم وهو يتحدث، ويحمل قلم الرصاص كما لو كان على استعداد للكتابة في أي لحظة، ويجلس على مقعده. ومع ذلك، إذا طلبت من هيبر شرح الدرس، فربما لن يتمكن من ذلك.

التفاعل السلوكي المعرفي

وبالطبع، هنالك طلاب آخرون في الفصل الدراسي لديهم تطابق أفضل بين تفاعلهم السلوكي والمعرفي، ولكن قد يكون من الصعب معرفة الفرق بين الاثنين. وقبل بضع سنوات، كنا مهتمين بتأثير سلوكيات إرضاء المعلمين على تصوُّرات المعلمين وتعلُّم الطلاب، وقمنا بتدريس سلوك واحد لمجموعة من 36 طالبًا كل أسبوع. ولم يعلم معلِّموهم الآخرون أننا ركَّزنا على هذه السلوكيات. وفي أسبوع واحد استطاع الطلاب تحية المعلمين بعد دخولهم الفصل الدراسي، وفي الأسبوعين التاليين ركزنا على جلوس الطلاب معتدلين على مقاعدهم وعدم انحنائهم إلى الأمام نحو المعلم، وإظهار الاهتمام والابتسام بين الحين والآخر، وتتبُّع المعلم بأعينهم. وفي الأسابيع التالية، سمحنا لهم بالتواصل الجسدي مع معلميهم (مثل المصافحة، القبضة في القبضة، وغير ذلك). ثم طلبنا منهم أن يبقوا دفاتر ملاحظاتهم مفتوحة على الطاولة وأن يمسكوا قلمًا في جميع الأوقات. وواصلنا تعليم الطلاب وطرح الأسئلة ذات الصلة، ومدح المعلم، وتقديم تلميحات أو توجيهات للطلاب الآخرين في الفصل. ومع نهاية الفصل الدراسي، كان لدينا 34 طالبًا (حيث انتقل اثنان) حققوا متوسط درجات أعلى من جميع طلاب الصف التاسع الآخرين. وكانت درجاتهم لا تُصدَّق، فقد حصلوا جميعًا على درجة «ممتاز» أو «جيد جدًّا».

بالنسبة لنا، هنالك فرق كبير بين التفاعل السلوكي والمعرفي.

الانخراط السلوكي سهل الملاحظة عادةً، ونحن نعتقد أن الطلاب يُشاركون إذا تتبَّعوا المتكلم بعيونهم أثناء جلوسهم على المقاعد، ويبدون عمومًا وكأنهم يولون اهتمامًا. وعامةً، نحن نُسمي هذه الإجراءات «سلوكيات مُرضية للمعلم»؛ لأنها تجعل المعلمين (والمسؤولين) سعداء. ولكنها لا تعني بالضرورة أن الطلاب يتعلمون.

العلاقة الإيجابية بين المشاركة السلوكية والمعرفية والتعلم

نسرد هذه القصة لنُسلِّط الضوء على أنه يمكن أن تكون هنالك علاقة إيجابية بين المشاركة السلوكية والمشاركة المعرفية والتعلم. إذا فكرت في الأمر؛ فستجد أنه عندما شاركت هذه المجموعة من الطلاب في سلوكيات إرضاء المعلمين، ارتفعت درجاتهم. ولكن بعد ذلك، ربما ارتفعت درجاتهم؛ لأنهم كانوا في الواقع يولون اهتمامًا أكبر بالصف وكانوا يتعلمون المحتوى بطريقة أفضل. نعم، المشاركة السلوكية مهمة؛ لكننا قلقون أيضًا بشأن الطلاب مثل هيبر الذين يخفون انخراطهم السلوكي ولا يُشيرون إلى وجود رابط بينه وبين الارتباط المعرفي. وهذا هو السبب في ضرورة مراقبة المشاركة المعرفية، ومن السهل معرفة ما إذا كان الطلاب يُشاركون معرفيًّا عندما يزخر الفصل الدراسي بالمناقشة والحوار. وبينما يتفاعل الطلاب فيما بينهم ومع معلميهم، يُصبح تفكيرهم واضحًا وعامًّا ويكون متاحًا للآخرين أن يستجيبوا إليه. ويصبح هذا الأمر مادة خصبة للدروس المستقبلية والتفاعلات التي تستمر في تشكيل فهم الطلاب للعالم. وبعبارة أخرى: توفر المناقشة والحوار للطلاب ومدرسيهم دليلًا على المشاركة المعرفية والتعلم. وفي الواقع، نعتقد أن المشاركة في التعلم هي أحد الأسباب الرئيسة في تحصيل الطلاب. ولكي يحدث التعلم، يجب على الطالب الانخراط في الانتباه الانتقائي؛ مما يعني أن الطالب يختار معلومات ومدخلات محددة دون الاحتمالات الأخرى. ومن الاهتمام الانتقائي، يجب على الطالب الانتقال إلى الاهتمام المستمر، مع التركيز مدة كافية على معالجة المعلومات. ويتضمن ذلك: الذاكرة العاملة، ووظائف التخزين المعقدة للغاية. ويحتاج الطالب أيضًا إلى عمل روابط بين المعلومات الجديدة، وفي هذه الحالة يتم تهجئة المعلومات السرية والمعروفة سابقًا. ولكي يتذكَّر الطالب المعلومات ويتمكن من استخدامها؛ يحتاج إلى التدريب والتمرين، بجانب الاهتمام.

مقطع فيديو رقم 2

يُمكن النظر إلى التعليم الترويجي بوصفه يتألف من أربعة عناصر؛ أولها الثقة؛ وهي التي تصف العلاقات المستمرة بين المعلم والطلاب في الصفوف الدراسية، ويحمل المعلمون والطلاب نوايا إيجابية ويسعون إلى بناء هذه العلاقات وصيانتها وإصلاحها. وبعبارة أخرى: تنطوي الثقة على الاستثمار المشترك الذي نضعه في الأشخاص الآخرين. والثقة هي عامل وسيط في نطاق تماسك المجموعة، والتعامل مع المخاطر الأكاديمية، والرضا، وحل المشكلات؛ حيث إنها تشكل أساس أي فصل دراسي عالي الكفاءة. والعنصر الثاني للتعليم الترويجي هو الاحترام؛ حيث يتم تعزيز هذا المتطلب عن طريق الإجراءات التي تُنشئ فهمًا لاستقلالية كل شخص وهويته وقيمته بالنسبة لمجتمع التعلم. إن المسؤولية المشتركة أمر حاسم، وأعضاء الصف- ومن بينهم المعلم- يرون أنفسهم قادة يتحملون مسؤولية الحفاظ على الرفاهية الاجتماعية والعاطفية للآخرين.

أما العنصر الثالث فيتمثل في التفاؤل؛ فالمعلمون يضطلعون بدور مهم في خلق بيئات تعلم متفائلة، وكذلك الطلاب. وفي فصل دراسي جذاب، يدعم الطلاب تعلُّم أقرانهم ويفهمون أن لهم دورًا أساسيًّا في تعلُّم الآخرين. وإذا لم تكن المدارس أماكن لبث روح الأمل، فما الفائدة منها؟

وهذا يقودنا إلى العنصر الرابع: القصد؛ فالدعوة إلى التعلم تعني أن ممارسات وسياسات وعمليات وبرامج الصفوف والمدارس مصمَّمة بعناية ومقصودة لنقل الثقة والاحترام والتفاؤل للجميع.

دعم المعلم

بصورة عامة، نحن نقصد الطلاب والموظفين وأفراد المجتمع؛ لكن ما نقوله ونفعله في الواقع يمكن أن يتمثل في شيئين مختلفين؛ مما يقوِّض مدرسة مليئة بالأمل. وللأسف، المعلمون الذين لا يحصلون على دعم عن غير قصد أكثر عددًا من غيرهم. وهؤلاء المدرسون لديهم توقعات منخفضة لطلابهم، وغالبًا ما يكون ذلك نتيجة لخيبة الأمل والشعور غير الحقيقي بالفاعلية الذاتية، ويلومون الطلاب وظروفهم، ولا يعود هذا الأمر إلى أنهم لا يحبون الأطفال في الواقع؛ فغالبًا ما يكون العكس هو الصحيح. لكنهم لا يدركون لماذا لا يُحب الطلاب فصولهم الدراسية ولا يستجيبون بحماس لتعليمهم. وبعيدًا عن الضرر الذي يلحقونه على مستوى الفصل، فإنهم يقوِّضون جهود تحسين المدرسة عن طريق الاستجابة على نحو سلبي ومتشائم. ويقولون: إن ذلك لن ينجح أبدًا مع هؤلاء الأطفال؛ فغالبًا ما يعمل قادة المدارس بمعزل عن هؤلاء الأشخاص بدلًا من العمل معهم؛ مما يُؤدي إلى تعميق شعورهم بالضعف. إن دعوة المعلمين مليئة بالحماسة عن غير قصد منهم تجاه ما يفعلونه، وتجاه الطلاب الذين يُدرِّسونهم؛ لكنهم يفتقرون إلى القدرة على التفكير في ممارساتهم.

مفهوم المعلم العظيم

يُدرك المعلمون أن الوصول إلى مفهوم «المعلم العظيم» هو أمر هادف، ويعتقدون أن التحسين المستمر أمر أساسي؛ فالمعلمون صادقون مع أنفسهم، ويتصفون بالموثوقية، ويُجسِّدون عقلية التطور والنمو لأنفسهم ولطلابهم على حدٍّ سواء. وأهم من ذلك أنهم مُدركين لطلابهم ويعلمون مستوى كل طالب على حدة، ويعرفون طلابهم جيدًا؛ لأنهم يستثمرون يوميًّا في بناء العلاقات مع طلابهم ويستطيعون تقييم كل طالب ومستواه العلمي ومستوى تركيزه وفهمه. يُعرِّف القاموس الحضاري الثمار الدانية (المخرجات الوشيكة) بأنها «أهداف أو غايات قابلة للتحقق بسهولة ولا تتطلب كثيرًا من الجهد، ويُمكن للطالب تحقيقها بسهولة، ويمكن للمعلم صياغتها والعمل على أن يصل إليها الطالب في وقت قصير».

أفضل النتائج

وفي بحثنا عن أفضل النتائج، اكتشفنا أن بعض الحلول القائمة على الأبحاث تستغرق وقتًا طويلًا، أو أنها باهظة التكلفة، أو ليست عملية؛ فعلى سبيل المثال: جادل أُناسٌ بأن توفير حاسوب لكل طالب يُمكن أن يُشجِّع الطلاب على التعلم ويمثِّل حلًّا لمشكلات مشاركة الطلاب في الصفوف الدراسية. ولكن تنفيذ مبادرة توفير حاسوب لكل طالب يتطلب كثيرًا من المال والقدرة. انظروا فقط إلى جهود منطقة مدارس لوس أنجلوس الموحدة؛ حيث فشلت جهودهم التكنولوجية ذات النوايا الحسنة في تحقيق المكاسب، وامتد الفشل إلى كثير من الأماكن في المقاطعة، ولم يتم تنفيذها أبدًا. يبدو أن بعض الحلول القائمة على الأدلة تعمل فقط في المختبر، ولم تتم تجربتها في الصفوف الدراسية الفعلية، التي تبدو معقدة ومتنوعة.

مثال:

على سبيل المثال: تُعد نظرية مطابقة أساليب تعلُّم الطلاب مع التدريس في الصف جذابة وذات منطق جميل، ويبدو من المعقول أن نقترح أن الطلاب الذين يُفضلون أسلوب التعلم البصري المكاني يُمكن أن يحققوا أكثر إذا جرى تعليمهم بهذه الطريقة؛ لكن النظرية لا تعمل حقًّا بهذه الطريقة في الصفوف الفعلية. في الواقع، لا يوجد دليل مقنع على أن

التوفيق بين أسلوب التعليم وطرق التدريس سيُعجِّل من تحقيق الإنجاز.
ومن المهم أيضًا ملاحظة أن هنالك توصيات قائمة على الأبحاث تبدو معقولة جدًّا لتنفيذها على أرض الواقع؛ فهي مفهومة، وتُترجَم على نحو جيد في ممارسات الصفوف الدراسية، وهي في الوقت نفسه ليست باهظة التكلفة، ولا تتطلب تعلُّمًا مهنيًّا واسعًا للتنفيذ.
هذه هي الثمار الدانية (المخرجات الوشيكة) التي نرغب في تحقيقها. وعند حصاد الثمرة الدانية، يُمكننا أن ننتبه إلى الثمار العالية المعلَّقة. ومعنى هذا أنه لا بد من تحقيق الأهداف القصيرة الأجل التي يمكن تحقيقها بسهولة وعند تحقيقها يُمكننا أن نفكر في الأهداف البعيدة التي تتطلب وقتًا وجهدًا وأساليب متنوعة من التدريس. لماذا نذهب لتحقيق الأهداف البعيدة صعبة المنال وتحسين المدرسة وبيئة التعلم والأساليب التكنولوجية، بينما هنالك طريق أسهل لتنفيذ الأدوات التي لم تتم تجربتها؟ ومن بين ما نلجأ إليه نحن وملايين الأشخاص الآخرين من أجل الحصول على الإلهام حول ما سيتم تنفيذه فيما بعد؛ مراجعة جون هاتي للأبحاث التعليمية؛ حيث هاتي بتجميع الآلاف من الدراسات البحثية وحجم التأثيرات الفاعلة، وتحديد تلك التي يُحتمل نجاحها من حيث تعلُّم الطلاب.

المشاركة من خلال التصميم

كما لاحظنا، إذا أخفق المتعلمون في الانتباه، والتفاعل، واستخدام أصواتهم بطريقة ذات معنى؛ فمن غير المرجح أن يتعلم الطلاب. يبدو الأمر واضحًا، لكننا كثيرًا ما نرى صفوفًا يدرِّس فيها المدرسون لكن لا يبدي أحد من الطلاب أي اهتمام، ينتبه الطلاب عندما يكون الدرس جذابًا، ولكننا نستخدم الكلمة بطريقة مختلفة عن الآخرين؛ إذ نهدف دائمًا إلى المشاركة المعرفية، وهو أمر تصعب مراقبته. لكن المشاركة المعرفية – وبالتالي التعلم الأمثل – تتحقق من التعاون بين المعلم والطالب بالاستخدام الأمثل للمحتوى. نود أن نفكر في ذلك من حيث الدوائر المتداخلة التي توفر مقاربة متوازنة لتجربة التعلم.
وإذا ما نظرنا إلى علاقة الطالب والمعلم؛ فسنجد أن مقدار التداخل بين دائرتي الطالب والمعلم يُشير إلى العلاقة بينهما، وهي مهمة جدًّا وتؤثر على تعلُّم الطلاب بدرجة كبيرة. في الواقع، وجد هاتي أن العلاقة بين المعلم والطالب لها تأثير يصل إلى 0.72. ومع ذلك، فإن 52% فقط من الطلاب أفادوا بأن معلميهم يبذلون جهدًا للتعرف إليهم، ونسبة 43% فقط يعتقدون أن المعلمين يهتمون بمشاكلهم ومشاعرهم. ومن الواضح أن بعض الناس لم يفهموا بعد قيمة هذه العلاقة.
في الواقع، يتذكر دوغ معلمه ذا الأداء الحسن من السنة الأولى، والتي كانت نصيحته الدائمة له: «لا تبتسم حتى العطلة الشتوية». أخذ دوغ النصيحة وتجنب سؤال الطلاب عن اهتماماتهم ولم يخبرهم بأي شيء عن اهتماماته. وغني عن القول: إن الطلاب الذين كانوا مع دوغ لم يتعلموا أشياء كثيرة في ذلك العام. فهل كانت نصيحة جيدة؟ بدلًا من ذلك، كان يجب على هذا المعلم أن يقول لدوغ: «افعل كل ما بوسعك لتطوير علاقات قوية ومثمرة ومُنتِجة لتحقيق التقدم مع الطلاب».
والعلاقات الإيجابية بين الطلاب والمدرسين هي هدف قريب المنال. يمكن للمدرسين اختيار مواقفهم تجاه الطلاب ويمكنهم العمل على نحو هادف لتطوير علاقات إيجابية؛ لهذا السبب نفكر في هذا الأمر باعتباره ثمرة دانية (هدف قريب).
دعونا نأخذ مجموعة متداخلة أخرى من الدوائر، وهذه المرة بين المعلم والمحتوى. فيجب على المعلم معرفة المحتوى معرفة جيدة؛ ليستطيع إيصاله للطالب، ويجب عليه عدم تدريس معلومات خاطئة أو ناقصة، وعليه أن يوصل المعلومة بطريقة جيدة حتى يستفيد منها الطالب.

الخلاصة

لا تتشكل الصفوف الدراسية الفعالة من تلقاء نفسها، بل يجب أن يقودها معلمون يفهمون بعمق مهاراتهم والطبيعة الأساسية للتفاعل بين الطالب والمعلم بالاستخدام الأمثل للمحتوى. يسعى هؤلاء المعلمون إلى أن يكونوا مبادرين من تلقاء أنفسهم؛ حيث إنهم يبنون ويرصدون الأساليب التي تتوافق معها ممارسات وسياسات وعمليات وبرامج الصفوف الدراسية لتقديم رسالة مرحِّبة وداعمة للطلاب.

العلاقات

قصة هكتور

يقول هكتور إنه شعر «بالإرهاب» في المدرسة المتوسطة. فقد انخرط في عصابة للسرقة من الطلاب الآخرين ليتعاطى المخدرات، وكان في كثير من الأحيان يتم إيقافه بسبب سلوكياته السيئة. تم طرده في نهاية المطاف لأنه لكم المدير في إحدى المشاجرات. ثم تم تسجيل هكتور في مدرسة أخرى، ويقول إنه تعلم بها كثيرًا من المهارات الجديدة، بما في ذلك كيفية الاتجار بالمخدرات وحمل السلاح. وتم طرده من هذه المدرسة أيضًا عندما ضُبطت بحوزته كمية كبيرة من المال والماريجوانا، والتي كان يبيعها لطلاب آخرين. وعندما سئل هكتور أجاب قائلًا: «في الصف السادس، لم يكن أحد يعرف اسمي. لم يتواصل معي أحد من المعلمين من قبل باسمي، وقد كانوا ينادونني دون ذكر اسمي. عندما بدأت أسبِّب المشكلات، كان الجميع يعرفون اسمي، وذلك فقط بسبب ما ارتكبته من مشكلات. لم أكن أعرف هؤلاء المعلمين أبدًا، ولم أكن أهتم بهم. حقًا، لقد كانوا في طريقي معظم الوقت. في بداية المرحلة الثانوية.

هكتور في مدرسة جديدة

التحق هكتور بمدرسة جديدة. وفي الواقع، قامت والدته بتسجيله في مدرسة جديدة في منطقة جديدة، على أمل أن ماضيه لن يتبعه. رفض هكتور الاعتراف بمعلميه، وقال لأحدهم في اليوم الثاني له بالمدرسة: «ليس لديك الحق أن تُحدق في عيني». مع حلول نهاية الأسبوع الأول من المدرسة، جعل هكتور نفسه معروفًا للمدرسة. وفي أول جمعة من العام الدراسي، حيث يُنظَّم أول حدث تعلُّم مهني لهذا العام، حدَّد المعلمون الطلاب الذين يحتاجون إلى مساعدة أو اهتمام إضافي. وكتب كل معلم من معلمي هكتور اسمه على بطاقة. وبمجرد فرز جميع البطاقات لتحديد الأسماء المكررة، تم نقل الأسماء وتوزيعها على الموظفين. وكان النظام المتبع أنه في الأسبوع التالي، يتقابل الشخص البالغ (سواء المدرس أو المساعد أو غيرهم) الذي حصل على البطاقة مع الطالب ويبدأ في محادثته. وطالما أن الأمر لا يتعلق بالحديث عن المدرسة، سيستمر يوميًّا حتى يتم بناء علاقة قوية. كان الموظفون يحاولون إقامة علاقات وثيقة مع الطلاب ذوي الخطورة العالية باستخدام استراتيجية من اثنين إلى عشرة، حيث يقوم الموظف بإجراء محادثة مدتها دقيقتين مع الطالب لمدة 10 أيام متتالية، دون الحديث عن المدرسة أو العمل. وبمجرد مرور 10 أيام متتالية، يمكن للشخصين التحدث عن أي شيء آخر يريدانه، بما في ذلك الأداء المدرسي. في ذلك الوقت، يحاول الموظف أيضًا الوصول إلى علاقات أفضل بين الطالب والبالغين الآخرين في حياة ذلك الطالب. وفي الوقت نفسه، يحاول البالغون الآخرون في حياة ذلك الطالب أيضًا تطوير علاقات قوية مع جميع الطلاب الآخرين.

التحول في حياة هكتور

بالعودة إلى هكتور، استغرق الأمر تسعة أسابيع قبل أن يتمكن ديفيد ساموبلز من التحدث معه لمدة 10 أيام متتالية. في البداية، استخدم هكتور كثيرًا من الكلمات البذيئة، وكان يخرج من الصف كلما أراد. ورفض مصافحة السيد ساموبلز أو أي شخص آخر في المدرسة. كان النصف الأول من العام قاسيًا، ولكن في كل مرة كان يتعدى فيها هكتور حدوده، كان شخص ما في المدرسة يتحدث معه عن الضرر الذي كان يتسبَّب فيه. وأوضح هكتور سبب التغير في حالته قائلًا: إن الجميع بدوا لطفاء وعاملوني باهتمام ولم يوقعوني في مشكلة، فتحدثت معهم وبدأت أقلل من سلوكياتي السيئة وقد لاحظوا ذلك. وبنهاية شهر نوفمبر كانت العلاقة بين هكتور وساموبلز قوية جدًّا وبدأت الأمور في التحسن.

بناء العلاقات مع الطلاب

هنالك أربعة شروط لبناء علاقة قوية ومحترمة بين الطالب والمعلم وهي:

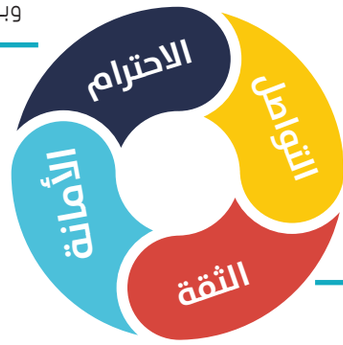

وكل واحد من هذه الشروط له دور مهم في جميع العلاقات التي نعيشها مع الآخرين، سواء أكانت أعمارهم 5 سنوات أم 15 أم 55 عاماً، وبعد ذلك، نقر بأن علاقة المعلم والطالب هي علاقة مميزة وفريدة.

التواصل مع الطلاب

تؤثر العلاقات بين المدرس والطالب على قدرته على توصيل توقعاته المعيارية للتفاعلات داخل الصف الدراسي. تستخدم «إدارة الصفوف الدراسية» لتوجيه تنمية الطلاب؛ فالعلاقة بين الطالب والمعلم معقدة بسبب الدور الذي يؤديه المعلم. وفي جوهرها، ثمة ديناميكية بين البالغين والأطفال/الشباب تتطلب تطورات تنموية مناسبة مدعومة عاطفيًّا ونفسيًّا. على سبيل المثال: يقوم الكبار بتعديل لغتهم لتلبية الاحتياجات المتغيرة للأطفال أثناء نموهم وتطورهم. وتختلف اللغة التي يستخدمها معلم رياض الأطفال عن لغة معلم الصف السادس، لكن الهدف ليس كذلك.

توقع التعلم

هنالك ديناميكية أخرى في علاقة المعلم والطالب هي توقُّع التعلم. يدخل المعلمون هذه العلاقات؛ لأنهم يأملون في التأثير على الأداء المعرفي والسلوكي للآخرين. في الواقع، تقوم العلاقة على فكرة أنه سيكون هنالك تعلُّم. ودون التركيز على نقطة التعلم، لا يوجد سبب حقيقي للوقت الكبير الذي يقضيه المعلمون والطلاب معًا. لا يعتقد أكثر من ربع الطلاب (27%) أن معلميهم يتوقعون نجاحهم. هذا الأمر يجب أن يتغير. أهم من ذلك، أننا نعلم أن هنالك ما هو أكثر من التعلم، مثل نتائج التحصيل الأكاديمي؛ فيتعلم الطلاب سلوكيات المواطنة، والمسؤولية الاجتماعية، والتعاطف، ومجموعة من المهارات الحياتية الأخرى من معلميهم. ولكن مهما كان ما يتعلمه الطلاب والمعلمون، تبقى الحقيقة أن العلاقة مبنية على توقع أن يتم تقديم التعقيبات بحيث يمكن حدوث النمو والتطور. لا يمكننا أن نتخيل أن قارئًا واحدًا لهذا الكتاب قد يتخذ رأيًا مناقضًا لأهمية علاقات المعلم والطالب. إن الأمر يرتكز على كيفية تطوير هذه العلاقة وصيانتها بحيث تصبح هي النقطة المهمة. قمنا بتقسيم العلاقات بين المعلم والطالب إلى ثلاثة مكونات:

1. **الدعوة؛** حيث يخلق المعلم مساحة يدعو فيها الطالب إلى التعلم بطريقة نفسية وبدنية.
2. **المساواة؛** يتأكد المعلم من حصول جميع الطلاب على فرص متساوية للتعلم، وأن لديهم الفرصة في بناء علاقة متساوية مع المعلم.
3. **التأييد؛** يوفر المعلم للطلاب مساحة آمنة تتسم بالإنسانية والتطور.

جوانب العلاقة بين المعلم والطالب

ضع في اعتبارك الأوقات التي شعرت فيها بالترحاب في مكان جديد. من المحتمل أن يكون الأشخاص قد استخدموا اسمك أو بدأوا في التعرف عليه، وبدأوا يتحدثون معك ويتعرفون إلى شخصيتك.

التعرف إلى قصص أسمائهم

ما القصة وراء اسمك؟ هل جاء اسمك مثل اسم أحد أجدادك؟ ربما يشير اسمك إلى مكان أو يشير إلى سمة شخصية. هل اسمك اسم تقليدي يعكس تراثك الثقافي، أم أن أبويك قد اخترعا اسمًا جديدًا لك وحدك؟ اسأل الشخص كيف حصل على اسمه، ومن المرجح أن تسمع قصة مضحكة أو مؤثرة أو مربكة بشكل واضح. دومينيك، على سبيل المثال، تم تسميته على اسم لاعب كرة سلة كان والده «فيجيه» معجباً به. يخبر دومينيك الناس الذين يسألون عن اسمه أن معظم الناس يعتقدون أن اسمه أنثوي أو عنوان رسائل البريد الإلكتروني للسيدة سميث؛ لأن هذا هو ما اعتادوا عليه. بعد أن يتعرف الطلاب بعضهم إلى بعض جيدًا على نحو معقول، يمكن للمدرسين دعوة الطلاب لمعرفة أمور أكثر عن أسمائهم عن طريق سؤال أفراد العائلة أو إجراء بحث على الإنترنت أو البحث عن أحرف في الكتب التي تحمل الاسم نفسه. شارك طلاب الصف الخامس في الصف الدراسي لمونيكا غرين في دراسة عن أسمائهم كجزء من وحدة البحث والكتابة التي تضمنت تاريخ عائلاتهم. تحتوي مقالاتهم على عدة أجزاء، تتضمن أصل أسمائهم والتاريخ الشخصي للعائلة.

خلق مساحة ترحيبية

أيضًا الطريقة التي يتم بها تنظيم غرفة الصف تُساعد بدرجة كبيرة على توصيل ما يتم تقييمه. منذ زمن ليس ببعيد، قمنا بزيارة فصل دراسي بدا أنه يحتوي على مساحة كبيرة مخصصة للمعلم. وللتحقق من ذلك، قمنا بحساب مساحة الأرضية، وكان من المؤكد أن ما يزيد قليلًا عن ثلث الفصل الدراسي كان «خارج حدود المساحة» المخصصة للطلاب، وكان يستخدمه المعلم حصريًّا. قال أحد الطلاب عندما اقتربنا من مكتب المعلمة: «استشاطت غضبًا لأن هذه المساحة خاصة بها». على الرغم من أنه من المعقول أن يتوفر للمعلمين مناطق مخصصة لاستخدامهم، فمن الحكمة التفكير في الطرق التي يتم بها شرح ذلك للطلاب ومقدار المساحة غير المتاحة للتعلم. في بعض الصفوف الدراسية- مثل الصف الأول- فكَّر المعلم بطريقة مبتكرة في تنظيم مساحات التعلم. وفي فصول العلوم في جامعة برادلي هانسون، هنالك نوعان من الطاولات والمقاعد ويجلس الطلاب عليها بطريقة مختلفة عند ممارسة الأنشطة المختلفة. في الطاولات والمقاعد السفلية، يقوم الطلاب بتدوين الملاحظات أو العمل باستخدام الأجهزة التكنولوجية أو الكتابة.

ملاحظة الطلاب ذوي العلاقات الضعيفة

لدى بعض المدارس أنظمة لملاحظة عدم قيام الطلاب بتطوير علاقات قوية مع البالغين، ولكن 22% من الطلاب يقولون لنا: إنهم يواجهون صعوبة في الالتحاق بالمدرسة، فنحن نعرف أن هنالك مجالًا للتحسين. هنالك عدة طرق للقيام بذلك؛ لكننا مغرمون بالنشاط النقطي. على أجزاء كبيرة من ورق المخطط، تتم طباعة اسم كل طالب، وعادةً ما نقوم بذلك على طابعة ثم نقوم بوضعه على ورقة المخطط. وخلال جلسة تعلم احترافية للمعلمين، سواء أكانت على مستوى الصف أم القسم أم المدرسة بأكملها- يضع المعلمون نقاطًا بجوار أسماء الطلاب الذين لديهم علاقات قوية معهم. وعندما ينتهي الجميع من وضع النقاط على ورقة المخطط، يبحث الفريق عن فجوات. أي الطلاب لديهم كثير من النقاط، وأيهم لا يملكون أي نقاط؟

تجربة أكاديمية هاريت توبمان

قامت أكاديمية هاريت توبمان للعدالة الاجتماعية بهذا النشاط ولاحظت أن 10% على الأقل من طلابها ليس لديهم أي نقاط على الإطلاق. وأشاروا أيضًا إلى أن كثيرًا من الطلاب لديهم ثماني نقاط أو أكثر. وكما قال أحد المدرسين: «لا يعني أن الطلاب الذين لديهم كثير من النقاط لهم شعبية أكبر». ويخبرنا 22% من الطلاب بأنهم يواجهون صعوبة في الالتحاق بالمدرسة. كما أمضى المعلمون «توبمان» بعض الوقت خلال جلسة تعلمهم المهنية وهم يتحدثون عما يعرفونه عن الطلاب الذين لم يحصلوا على أي نقاط. كثير منهم كانوا معتادين على الغياب كثيرًا؛ لأنهم يعانون من الفقر. وقرروا أن معلمي المرحلة الأولى لكل من هؤلاء الطلاب سيعلمون المزيد عنهم وأن الموظفين سيجتمعون في غضون ثلاثة أسابيع لتبادل النتائج التي توصلوا إليها.

الأدوات الإضافية للمعلم

هنالك عدد من الأدوات الإضافية التي يُمكن للمعلمين استخدامها لتطوير هذا الجانب من علاقتهم مع الطلاب. بعض الناس يوصون بمسح قائم على الاهتمامات، يُنشئه المعلمون بسهولة لمعرفة ما يُحب طلابهم القيام به في أوقات فراغهم، أي الموضوعات التي يجدونها مثيرة للاهتمام؟ وما هواياتهم؟ يوصي آخرون بمشاركة أجزاء من حياتهم مع الطلاب. نحن نرى قيمة في كل من هذه الأنشطة ومجموعة من الأشياء الأخرى التي يفعلها المعلمون لضمان أنهم يتفاعلون مع فصولهم الدراسية.

القرب من الطلاب

يمكن أن يؤدي وجود مدرس أو فصل دراسي غير مُلهم إلى إعاقة مسار التعلم كثيرًا، والوجود الفعلي للمعلم في الصف الدراسي هو حافز قوي. نحن نعلم أن المعلمين يستخدمون القرب من الطلاب كأداة لإدارة الصف الدراسي. غالبًا ما يقف المعلمون بالقرب من الطلاب الذين يؤدون أداءً جيدًا، أو الطلاب الذين تربطهم بهم علاقة قوية، أو بشكل مؤقت عندما يكون الطلاب في مشكلة سلوكية. من حيث أنماط الجلوس، عادةً ما يتم وضع الطلاب ذوي الإنجازات المنخفضة في الجزء الخلفي من الغرفة أو في الزوايا. وغالبًا ما يتم العثور على الطلاب الذين لديهم علاقات أقوى مع المعلم في الجزء الأمامي وفي وسط الغرفة.

تفاعل المعلم مع الطلاب عن طريق الاهتمامات

كُلّف المعلم في الفترة الأولى بتحديد اهتمامات الطالب وتطلعاته وتاريخه وحالته الأكاديمية الحالية عبر الصفوف الدراسية. وبعد ثلاثة أسابيع، تم التعرف على كل طالب لم يحصل على نقاط من معلم الفترة الأولى. استنادًا إلى ما تعلموه؛ قاموا بتحديد أشخاص بالغين محددين يُمكنهم البدء في تطوير علاقة قوية معهم. وكرَّسوا أوقاتًا إضافية للطلاب حتى قال أحدهم: «لا داعي للقلق أكثر بشأن توماس. لقد مر ثلاثة أسابيع فقط، ولكننا مرتبطون بالفعل، ويأتي في وقت مبكر إلى المدرسة للتحدث معي أكثر. لقد حصل على نقطتي، وأعتقد أنه سيحصل على كثير من النقاط في وقت قريب». لقد التزموا بتخصيص وقت تعليمي إضافي لمراجعة تقدُّم الطلاب ومراقبة الطلاب الذين لم يكونوا متصلين في منتصف العام بأي شخص بالغ في المدرسة.

الثناء على الأداء

يحب الجميع سماع كلمات الثناء، ونحن البشر نحب أن نعرف متى نفعل شيئًا جيدًا. بالنسبة إلى الطلاب الذين يجدون صعوبة في الدراسة، فإن الثناء مهم لهم بصفة خاصة. للأسف، في كثير من الصفوف الدراسية، يتم توجيه الثناء للطلاب الذين لديهم علاقة إيجابية مع المعلم، 26% من الطلاب لم يتم توجيه الثناء لهم على شيء جيد أو إيجابي فعلوه في المدرسة. وأهم من ذلك، يجب معرفة أن الثناء اللفظي يجب أن يساوي الإشارات غير اللفظية التي يتلقاها الطالب مثل النظر إلى الطالب ونبرة الصوت باستخدام اسم الطالب وتعابير الوجه وغيرها. ومن المهم أيضًا ملاحظة أن الثناء يبني العلاقة بين المعلم وطلابه.

وقت الانتظار أو وقت الاستجابة

يشير وقت الانتظار أو وقت الاستجابة إلى مقدار الوقت بين طرح المعلم للسؤال وبين إجابة الطالب عليه أو إجابته بنفسه عليه. هنالك عدد من الفوائد لتوفير وقت للطلاب على الأقل خمس ثوانٍ قبل أن ينتقل المعلم إلى طالب آخر أو يجيب على السؤال بنفسه. إن توفير الوقت الكافي للطلاب يضمن زيادة تنوع الطلاب المتطوعين للإجابة.

بالإضافة إلى ذلك، هنالك دليل على أن توفير وقت الانتظار المناسب يؤدي إلى ردود تعكس التفكير النقدي المبني على الدليل أو المنطق.

أسباب الثناء

ونحن نتعمق في تفاعلات TESA، نلاحظ أن الطلاب بحاجة أيضًا إلى شرح أسباب المديح الذي يتلقونه. عندما يكون ذلك ممكنًا، ينبغي أن يكون الثناء مبنيًّا على إجراء أو استجابة محددة. وهنالك طريقة أخرى نجري بها اتصالات مع طلابنا ونبين لهم أننا نهتم من خلال إصدار عبارات تشير إلى أن لدينا اهتمامًا شخصيًّا في حياتهم.

الاستماع

نحن نعلم أن الاستماع هو مهارة بالغة الأهمية. للأسف، يقضي الطلاب قدرًا كبيرًا من وقتهم في الصف الدراسي ولا ينخرطون في مهارات وممارسات أخرى في القراءة والكتابة. قبل عدة عقود، لاحظ فلاندرز أن معلمي الطلاب ذوي الكفاءة العالية كانوا يتحدثون بنسبة 55% من وقت الصف. وتمت مقارنة ذلك بمعلمي الطلاب ذوي المستوى المنخفض الذين احتكروا الصف، وتحدثوا على الأقل 80% من الوقت، من الواضح، أننا المعلمين بحاجة للاستماع أكثر. وبصفتنا مستمعين، فإننا نعطي انتباهنا إلى الشخص الذي يتكلم، ونجري اتصالًا بصريًّا مع ذلك الشخص، وننخرط في أدلة غير شفهية، ونستطيع طرح أسئلة أو تقديم تعليقات حول ما قاله الشخص. تقوم مهارات الاستماع هذه ببناء العلاقات بين الناس والحفاظ عليها، ويريد الطلاب أن يستمع معلموهم إليهم. وفي الوقت الحالي، أفاد 43% من الطلاب أن البالغين في مدرستهم يستمعون إلى الطلاب. وعندما يتم الاستماع إلى الطلاب، فإنه يسهل العلاقة بين المعلم والطالب ويسمح لهم بمعرفة أن الاستماع ذا قيمة عظيمة.

> **اللمس**
>
> نحن نحترم العادات الثقافية والاجتماعية حول اللمس، ويجب علينا أولًا أن نعتبر أن الطلاب والمدرسين يعتبرون هذا أمرًا ضروريًّا.

قبول المشاعر

نحن نتفاعل مع العالم من حولنا. وبوصفنا معلمين، نحن بحاجة إلى قبول مشاعر طلابنا. كما ورد في الصف الأول، يعتقد 43% من الطلاب أن المعلمين يهتمون بمشاكلهم ومشاعرهم. يجب أن نقدِّر أفراحهم وأحزانهم. ويمكننا مساعدتهم على التفكير في عواطفهم وكيفية توجيهها.

العقاب

يستخدم معظم المعلمين مجموعة واسعة من الاستراتيجيات لإدارة فصولهم الدراسية. في كثير من الصفوف الدراسية، يُعاقَب الطلاب الأقل حظًّا عقابًا متكررًا، ويجب أن يكون العقاب عادلًا وغير متحيز، ويجب أن يثبت المعلم بوضوح أنه يتوقع نفس السلوك والاهتمام بالتعلم من جميع الطلاب. ودون النظر إلى الأنظمة المعمول بها، يعرف المعلم الجيد أن النتيجة المرجوة من العقاب هي إنهاء السلوك الذي يُسبِّب المشكلة مع الحفاظ على احترام المتعلم باستمرار.

ومن خلال مناقشة التفاعلات هذه، نأمل أن يكون من الواضح أن المدرسين يجب أن يضعوا توقعات عالية لجميع الطلاب، ويجب عليهم السعي لتطوير علاقات بناءة مع الطلاب. ولكن مع الأسف، لا يمتلك المعلمون دائمًا نفس التوقعات لجميع طلابهم أو يتواصلون معهم. يقول 58% من الطلاب: إنهم يشعرون بالراحة في طرح الأسئلة في الصف.

الوضوح

يجب أن يكون لدى كل معلم بعض الأهداف التي يسعى للوصول إليها، ويجب أن تكون هذه الأهداف واضحة ويتم توصيلها بصورة واضحة. ويمكننا مقارنة التقدم نحو الأهداف وإجراء التعديلات عليها ونشعر متى نحتاج المساعدة والعون من الآخرين.

والوضوح يتكون من عدة نقاط:

- معرفة ما يجب على الطلاب تعلمه.
- معرفة كيفية تعلُّم الطلاب هذه الأهداف.
- أن يعرف الطالب والمعلم على حدٍّ سواء معنى النجاح بعد تحقيق الأهداف.

التحدي

لا يُحب المعلمون خضوع طلابهم للصعوبات ويشعرون أنهم لا يؤدون دورهم إذا ما تعرض الطلاب للصعوبات والتحديات. وإذا كان التعلم من الأخطاء يبدو أداة قوية للتعلم؛ فلماذا لا نضع منهجًا لإحداث إخفاقات للطلاب وجعلهم يتعلمون من أخطائهم. وفقًا لهذه النظرية يجب أن يخضع الطلاب للتحديات والعوائق والأخطاء حتى يتعلموا. يخبرنا 43% من الطلاب أنهم يحبون التحديات، بينما أفاد 81% من الطلاب أن التحديات تعد حافزًا مهمًّا لهم لتحقيق النجاح.

المشاركة

يجب أن ينخرط الطلاب جميعًا في تحقيق نتيجة متساوية أو متقاربة مما يعكس التركيز المحلي والدولي على درجات الاختبارات الموحدة ويضعون تقييمات ثابتة ليقيسوا بها مستوى الطلاب. تؤدي المشاركة إلى زيادة التحصيل الأكاديمي وتُقلل من معدل الإخفاقات والسلوكيات الخاطئة وتزيد من الشعور بالرضا. ويمكن تقسيمها إلى: المشاركة السلوكية، والمشاركة المعرفية، والمشاركة العاطفية.

الخلاصة

المشاركة السلوكية والمعرفية عبر تصميم بيئات التعلّم لتحفيز المهارات والقدرات تخلق بيئة يزدهر فيها الطلاب، وتكون البداية دائمًا في الصفوف الدراسية؛ ولكنها تمتد لتشمل جميع مناحي الحياة. إذا توقعنا أن يستفيد كل من الطالب والمعلم من طاقاتهما؛ يجب أن تكون المشاركة هي المعيار الثابت والطريقة الطبيعية للوجود. المشاركة هي إشراك الطالب والمعلم معًا في العملية التعليمية، وإظهار الحماس في التعلم والرغبة في تعلم أشياء جديدة، والمضي بخطوات ثابتة وإيجابية نحو المستقبل.

جائزة حمدان بن راشد آل مكتوم

للأداء التعليمي المتميز

رقم الهاتف: +971 45013333 صندوق البريد: 88088

رقم الفاكس: +971 45013300 البريد الإلكتروني: info@ha.ae